كلية التربية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم
إدارة: البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)
=======

أثر البكاء على التربية الإيمانية من خلال أحاديث الصحيحين (دراسة موضوعية)

إعـداد

د / علوي حامد محمد بن شهاب الدين
أستاذ الحديث الشريف وعلومه المشارك ، جامعة حضرموت
رئيس قسم الدراسات الإسلامية سابقًا
AlwiBinShehab@hotmail.com

﴿ المجلد الثالث والثلاثين– العدد الثامن – أكتوبر ٢٠١٧م ﴾
http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

مستخلص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله ومن والاه.

إنَّ البكاء تعبير من تعابير الإنسان عن حالة من حالات حزنه أو فرحه ، ولقد عرف الإنسانُ البكاء قديمًا حتى عبر القرآن عنه في كثير من سوره المباركة.

والبكاء جبلي وفطري عند فقد العزيز على الإنسان ، وعند الإصابة بمصيبة ، فيستوي في البكاء كل البشرية على اختلاف أديانهم وأوطانهم فيه ، غير أنهم يتفاوتون في قدرة التحمل وعدم إظهار الحزن.

وموضوع البحث جمع الأحاديث التي أوردها البخاري ومسلم في صحيحيهما التي ورد فيها بكاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد نستطرد إلى بكاء الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم ؛ سواء كان ذلك البكاء جبليًا أو خوفًا من الذنب وخشوعًا لله تبارك وتعالى عند مناجاته وسماع كتابه العزيز.

وقد قسم البحث إلى مبحثين ؛ تناول الباحث في المبحث الأول البكاء الجبلي الفطري ، وفي المبحث الثاني البكاء خشوعًا لله وخشية منه ، وكان الباعث لهذا البحث أن رأيت جمود العين عن البكاء خشية لله تبارك وتعالى ، مع ما لهذه الدموع من أثر في التربية الإيمانية للمسلم ، فأحببت أن أسهم في بناء تلك التربية الإيمانية التي رأيت الضعف فيها بارزًا في مجتمعاتنا اليوم ، وأسمى الباحث بحثه (أثر البكاء على التربية الإيمانية من خلال أحاديث الصحيحين (دراسة موضوعية)

والله ولي التوفيق.

Abstract

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Thanks are due to Allah, and peace and prayers be upon the Messenger of Allah and his family and followers.

Crying is a human expression of sadness or happiness. Crying is known as old as human being and the Holy Quran referred to it in many blessed chapters .

Crying is innate and natural when a human loses beloved or is inflicted with a disaster. All humanity share crying as a common feature regardless of their nationalities or religions, however, they differ in endurance capacity and ability to hide grief.

The theme of this research is to collect the hadiths cited by Al-Bukhari and Muslim in their authentic hadith books where they mentioned the crying of Prophet Mohammad (PBUH). We may digress to the crying of the honored companions of Prophet Mohammed whether that crying was natural or due to fear of sins or as a sign of being submissive to Allah during their supplications or listening to the Holy Quran.

The research is divided into two sections; the first section deals with innate and natural crying while the second section discusses crying due to submissiveness and fear of God. The motivation of this research is the evident lack of tears due to fear of God in our society as such tears are quite effective in building true believers of Islam. Through this research, I would like to place one block towards build a truly faithful and fearful Muslim society where such qualities are quite missing in our societies of today. The research is titled "The Impact of Crying on Faithful Education through the Hadiths of the Two Authentic Books" (Objective Study) .

Allah is the arbiter of success.

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر البكاء على التربية الإيمانية من أحاديث الصحيحين

(دراسة موضوعية)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارض اللهم عن صحابته أجمعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فالبكاء له حالات متعددة ؛ منه ما يكون عند الفرحة ومنه حالة الحزن ، ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد بكى في حالات ، وبكى الصحابة الكرام رضي الله عنهم في حالات ، بل وأمر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حالات ، فجاء هذا البحث المتواضع لجمع تلك الأحاديث؛ لبيان أثر البكاء في التربية الإيمانية للمسلم ؛ فالبكاء خروج دمعات من العين ولكنه دلالة على الندم أو التأثر بشيء معين ؛ كوقوف على مصير شخص أو الخوف من نفس المصير أو الرهبة من الحساب على فعل معين ، وقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة وفيها سبب اختيار البحث وأهميته ، ثم تعريف موجز للبكاء.

المبحث الأول : البكاء الجبلي عند المصيبة والمرض وفقد المصالح النافعة.

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : البكاء لموت وفراق القريب والصديق.

المطلب الثاني : البكاء رحمة بأحوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثالث : البكاء على فراق الزوج.

المطلب الرابع : بكاء عائشة رضي الله عنها يوم الإفك (بكاء المتهم البري).

المطلب الخامس : البكاء لفقد مصلحة المسلمين.

المطلب السادس : التسلية بالمصير الطيب عن البكاء على الميت.

المطلب السابع : البكاء لفقد المصلحة الخاصة.

المبحث الثاني : البكاء خشوعًا لله تبارك وتعالى ، ومحاسبة للنفس واستشعار ثقل الحساب يوم القيامة والخوف من النار.

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : بكاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وفيه بكاء الصديق.

المطلب الثاني : البكاء عند تلاوة وسماع القرآن.

المطلب الثالث : البكاء عند سماع الموعظة.

المطلب الرابع : البكاء خشية من الله.

المطلب الخامس : البكاء خشية عدم الشكر للنعم.

المطلب السادس : بكاء الحنين والشوق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب السابع : البكاء خوفًا من الحساب.

المطلب الثامن : البكاء عند زيارة القبور.

ثم الخاتمة وأهم التوصيات.

قائمة بأهم المراجع والمصادر.

وسأكتفي في كل مطلب بذكر نماذج من السنة المطهرة من أحاديث الصحيحين حتى لا يطول البحث ، ولا أجمع الأحاديث في نفس الموضوع إذا حصل المقصود. فأقول مُستعينًا بالله ومتوكلاً عليه :

المقدمة :

إنَّ الكلام على البكاء ليس جديدًا على أي إنسان ؛ فهو شيء يُخالط المشاعر ، وقد يكون الباكي صادقًا ، ويتصنع البكاء أحيانًا ، لكن سبب اختياري له جاء من تفكر لآثار البكاء على حياة المسلم ، ولأنَّ المسلم ينبغي له أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يبكي في كثير من أحواله ؛ إما خشوعًا في صلاته ، أو تدبرًا للقرآن الكريم ، أو خوفًا من العرض على الله تبارك وتعالى إلى غير ذلك ، فحاولت كتابة هذا البحث المتواضع لعلي أن أطرق بابًا من أسباب التربية الروحية التي ضعفت عند بعض المسلمين اليوم.

ويمكن تلخيص أهداف البحث في الآتي :

١- إبراز أثر البكاء عند تلاوة القرآن ، ودلالته الصريحة في التأثر بالقرآن الكريم.
٢- التأكيد على الطبع الجبلي للبكاء عند المصيبة وفقد العزيز ؛ لما فيه من تخفيف الألم.
٣- إظهار أهمية البكاء من خشية الله ؛ لأثرها الواضح في البعد والإقلاع عن المعاصي.
٤- معرفة الداعية الناجح المؤثر في سامعيه ؛ لأنَّ البكاء علامة الاستجابة غالبًا.
٥- إبراز أثر البكاء عند رؤية القبور ؛ لما فيها من التدبر والاعتبار إلى نفس المصير.

وقبل جمع الأحاديث لا بد أن نتعرف على مفهوم البكاء وجملة من البكائين الذين عُرف عنهم كثرة البكاء مع التعرف على أسبابه.

تعريف البكاء :

قال المناوي : (البكاء – بالمد – سَيلان الدمع عن حزنٍ ، وقيل : بالمد إذا كان الصوت أغلب ، وبالقصر إذا كان الحزن أغلب)[١].

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي (١٤١).

والبكاء يكون في حالات منها الحزن ، كما يكون البكاء على النقيض ؛ فيكون عند الفرحة، ويعرف الحُزنُ – بالضم – : الغم الحاصل لوقوع مكروه ، أو فوات محبوب في الماضي[١]. قال الحافظ ابن حجر : (والبكاء الذي يجلبه الحزن غير مذموم ، وأنَّ المرء قد لا يملك دمعه إذا غلب عليه الغيظ)[٢] وقد يحاول الحزين إخفاء حزنه عن الآخرين ، ولا يستطيع فعل ذلك الكل ؛ فقد جاء في الصحيحين[٣] أنَّ رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم لما جاءه خبر مقتل أهل موتة رضي الله عنهم جلس (يُعرف فيه الحزن) قال الطيبي في شرحه : (كأنه كظم الحزن كظمًا ، فظهر منه ما لا بد للجبلَّة البشرية منه)[٤].

ومع أنَّ الجزع أشد من الحزن غير أنه لا يكون معه بكاءٌ غالبًا ، ويعرَّف الجَزَعُ – محركًا – حزنٌ يصرف الإنسان عمَّا هو بصدده ويقطعه عنه فهو أبلغ من الحزن ؛ لأنَّ الحزن عام[٥]. والكمد : الحزن ؛ لأنه يغير اللون ؛ من كمد الشيء إذا تغير لونه إلى السواد[٦]. غير أنه لا يكون معه بكاء.

وللبكاء درجات مختلفة ؛ فالنحيب شدة البكاء ، والبث – بفتح الموحدة بعدها مثلثة ثقيلة – شدة الحزن[٧].

ولقد تكلم العلماء عن البكاء وأفردوه بالتأليف فمن أوائل من أفرده ابن أبي الدنيا في كتابه (الرقة والبكاء)، وجمع الشيخ عبد الله بن إبراهيم اللحيدان كتابًا أسماه (البكاء عند قراءة القرآن) ، كما جمع الشيخ إحسان بن محمد بن عايش العتيبي كتابًا أسماه (البكاء من خشية الله)،كما جمع الشيخ أبو الفرج المصري كتابًا أسماه (البكاء من خشية الله).

(١) التعريفات ، للجرجاني (١١٧) والتوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي (٢٧٧).
(٢) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (١٩٩/٦).
(٣) صحيح البخاري برقم [١٢٣٧] وصحيح مسلم برقم [٩٣٥] من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (١٦٧/٣).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي (٢٤٢).
(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي (٦١٠).
(٧) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (١٦٩/٣).

أما عن المنهج الذي سنسلكه فهو المنهج الاستقرائي ؛ حيث سنجمع بإذن الله الأحاديث التي ورد فيها البكاء من صحيحي البخاري ومسلم ، ثم نقارن بين تلك الروايات من خلال المنهج المقارن ؛ لجمعها تحت العناوين المذكورة أعلاه. ثم نسرد تلك الأحاديث سردًا من غير تحليلٍ لها؛ لوضوحها تحت العناوين التي كتبت تحتها.

المبحث الأول

البكاء الجبلِّي عند المصيبة والمرض وفقد المصالح النافعة

البكاء الجبلِّي : هو البكاء الطبيعي الفطري الذي يستوي فيه البشر بمختلف عصورهم وأجناسهم وأديانهم كما ذكر الله تبارك وتعالى ذلك في حق يعقوب عليه السلام ؛ لمَّا فقد ابنه يوسف عليه السلام ، ففقد بصره مِن الحُزن ، حيث قال تعالى في سورة يوسف (اية [٨٤] : (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد جاء عند البيهقي في شعب الإيمان[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخٍ في الله ، فقال ذات يوم : يا يعقوب ، ما الذي أذهب بصرك ؟ وما الذي قوَّس ظهرك ؟ فقال : أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف ، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على ابنيامين ، قال : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : يا يعقوب ، إنَّ الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول : أما تستحي تشكوني إلى غيري؟ قال : فقال يعقوب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله...

ويتكون هذا المبحث من سبعة مطالب :

المطلب الأول : البكاء لموت وفراق القريب والصديق :

بكى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لاستشهاد أصحابه في غزوة مؤتة حتى ذرفت عيناه الدموع ؛ وذلك تعبيرًا جِبليًا على الحزن بفقد الغالي على الإنسان ، كما بكى صلى الله عليه وآله وسلم لفقده ابنه إبراهيم عليه سلام الله ، وبكى أيضًا لفقد ابن بنته ، وبكى لموت بنته رضي الله عنها ، كما في الأحاديث الآتية:

(١) شعب الإيمان ، للبيهقي برقم [٣٤٠٣].

١-روى البخاري في صحيحه[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب – وإنَّ عيني رسول الله صلى الله عليه و سلم لتذرفان – ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له).

٢-روى البخاري في صحيحه[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أبي سيف القين[٣] – وكان ظئرًا[٤] لإبراهيم عليه السلام – فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبراهيم فقبَّله وشمَّه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان ، فقال له عبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟! فقال : (يا ابن عوف ، إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون) ولفظ مسلم[٥] : فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (تدمع العين ويحزن القلب....).

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث : (قال ابن بطال وغيره : هذا الحديث يُفسر البكاء المباح والحزن الجائز ؛ وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله ، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى ، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمه ، ومشروعية الرضاع وعيادة الصغير والحضور عند المحتضر ، ورحمة العيال وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى)[٦].

---

(١) صحيح البخاري برقم [١١٨٩].

(٢) صحيح مسلم برقم [٢٣١٥].

(٣) أبو يوسف : هو البراء بن أوس بن خالد ، واسم زوجته التي أرضعت إبراهيم عليه السلام (أم بردة). الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر (٧٩)

(٤) الظئر : الأب من الرضاعة.

(٥) صحيح البخاري برقم [١٢٤١].

(٦) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (١٧٤/٣).

٣- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه : إنَّ ابنًا لي قبض فأتنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول: (إنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل عنده بأجل مُسمَّى ، فلتصبر ولتحتسب) فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبي ونفسه تتقعقع ، قال : حسبته أنه قال : كأنها شنٌّ ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال : (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء).

٤- روى البخاري في صحيحه[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شهدنا بنتًا[٣] لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان فقال : (هل منكم أحد لم يقارف[٤] أهله الليلة؟) فقال أبو طلحة طلحة : أنا ، قال : (فانزل) فنزل في قبرها.

وبكى جابر بن عبدالله الأنصاري وعمته فاطمة رضي الله عنهم لاستشهاد والده عبدالله بن حرام رضي الله عنه يوم أحد ؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[٥] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : لمَّا قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينهاني ، فجعلت عمتي فاطمة تبكي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (تبكين أو لا تبكين ، ما زالت الملائكة تظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه).

المطلب الثاني : البكاء رحمة بأحوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) صحيح البخاري برقم [١٢٢٤] وصحيح مسلم برقم [٩٢٣] واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري برقم [١٢٢٥].

(٣) هي أم كلثوم رضي الله عنها. فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٣٢٩/٤).

(٤) لم يقارف : لم يكتسب ذنبًا كما فسره عبدالله بن المبارك ، وقيل : لم يُجامع.

(٥) صحيح البخاري برقم [١١٨٧] وصحيح مسلم برقم [٢٤٧١].

لقد بكى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ لما يشاهدون من أحوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأحواله المعيشية في حين يشاهدون أحوال الأغنياء وملوك عصرهم ؛ لذلك بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ما شاهد الحصير قد أثرت في جنب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس في بيته إلا قليلًا من الشعير كما في الحديث ؛ فقد روى مسلم في صحيحه(١) من حديث عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نساءه قال : دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون : طلَّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه ، وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب ، قال عمر : فقلت : لأعلمنَّ ذلك اليوم ، قال : فدخلت على عائشة فقلت : يا بنت أبي بكر ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! قالت : مالي ولك يا ابن الخطاب ، عليك بعيبتك(٢) ، قال : فدخلتُ على حفصة ابنة عمر فقلت : يا حفصة ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله لقد علمتِ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فبكت أشد البكاء ، فقلت لها: أين رسول الله ؟ قالت : هو في خزانته في المشربة(٣) ، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدٌ على أسكفة المشربة مُدلٍ رجليه على نقير من خشب – وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينحدر – فناديته فقلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا، فقلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا ، فقلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنظر إلى الغرفة ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا ، ثم رفعتُ صوتي فقلتُ : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله ؛ فإني أظنُّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظنَّ أني جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضرب عنقها لأضربنَّ عنقها ، ورفعتُ صوتي فأومأ إليَّ أن ائذنه ،

(١) صحيح مسلم برقم [١٤٧٩].

(٢) عيبة الرجل : موضع سره.

(٣) المشربة : شبه الغرفة المرتفعة عن وجه الأرض. فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٢/٢٤٠).

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطجعٌ على حصير ، فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره ، فإذا الحصير قد أثَّر في جنبه ، فنظرتُ ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظًا[1] في ناحية الغرفة ، وإذا أفيق[2] معلقٌ قال: فابتدرت عيناي ، قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله ، ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك !! قال : يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى.

المطلب الثالث : البكاء على فراق الزوج :

إنَّ الزواج من نعم الله على عباده ، فإذا فقدت الزوجةُ زوجَها بسبب تقصير أو ذنب حقَّ لها البكاء ؛ لأن فقد الزوج مصيبة ، كيف إذا كان ذلك الزوج رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لذلك نجد أم المؤمنين حفصة تبكي ؛ لغضب زوجها – صلى الله عليه وآله وسلم – عليها ؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[3] من حديث عمر رضي الله عنه قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينزل يومًا وأنزل يومًا ؛ فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربًا شديدًا ، فقال : أثَمَّ هو ؟ ففزعتُ فخرجتُ إليه فقال : قد حدث أمرٌ عظيمٌ. قال : فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي ، فقلت : طلقكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالت : لا أدري ، ثم دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ وأنا قائم : أطلقتَ نساءك ؟ قال : لا ، فقلتُ : الله أكبر.

المطلب الرابع : بكاء عائشة رضي الله عنها يوم الإفك (بكاء المتهم البري) :

(١) القرظ : شجر يدبغ به ، وقيل : هو ورق السلم يدبغ به الأدم. لسان العرب ، لابن منظور (٤٥٤/٧).

(٢) الأفيق : الجلد الذي لم يتم دباغه ، وجمعه أفق. غريب الحديث ، لابن سلام (٦٥/١)

(٣) صحيح البخاري برقم [٨٩] وصحيح مسلم برقم [١٤٧٩] واللفظ للبخاري.

قد يُتهم الإنسان البري بتهمةٍ عظيمةٍ ويكون غير قادر على إثبات براءته ، وفي المثل: (كم في السجون من الأبرياء) لكن التهمة تحمل صاحبها على الهم والحزن الذي يعبر عنه أحيانًا كثيرة بالبكاء حتى يأذن الله بالفرج ، ولقد بكت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طويلاً ؛ لمَّا اتهمت في شرفها، وكانت غير قادرة على إثبات براءتها ، وقد استعانت بأبويها دون جدوى ، حتى أنزل الحقُّ تبارك وتعالى قرآنًا يتلى في براءتها كما في الحديث.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما(١) من حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه .. قالتْ : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، قالت : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوته تلك ، وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش ، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى الرحل ، فلمستُ صدري فإذا عقدٌ لي من جزع أظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمستُ عقدي فحبسني ابتغاؤه ، فأقبل الذين يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركبُ. وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم ، وإنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم حين رفعوا ثقل الهودج واحتملوه ، وكنتُ جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا فوجدتُ عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئتُ منزلهم وليس فيه أحد ، فأممت منزلي الذي كنت فيه وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السُّلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان فأتاني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمَّرت وجهي بجلبابي ، والله ما تكلمتُ بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش معرِّسين في نحر الظهير ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولَّى كبره

(١) صحيح البخاري برقم [٢٥١٨] وصحيح مسلم برقم [٢٧٧٠] مختصرًا.

عبدالله بن أبي سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيتُ بها شهرًا ، والناس يفيضون في قول أصحاب الأفك لا أشعر بشيء من ذلك ، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطف الذي أرى منه حين أمرض ، إنما يدخل فيسلِّم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذلك يريبني ولا أشعر حتى نقهتُ[1] ، فخرجت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم قِبَل المناصع متبرزنا ، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه ، فأقبلتُ أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي ، فعثُرت في مرطها فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبُّين رجلًا شهد بدرًا ؟ قالت : يا هنتاه، ألم تسمعي ما قالوا ؟ قالت : قلت : وما قالوا ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضًا على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي آتِ أبوي ، قالت عائشة : وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيت أبويَّ فقلت لأمي : ما يتحدث الناس؟ فقالت : يا بنية ، هوِّني على نفسك الشأن ؛ فوالله لقلَّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قالت : فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ؟ فبتُّ تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا اكتحل بنوم ، ثم أصبحت ... قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي سلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهلي ؟ فوالله فوالله فوالله – ثلاث مرات – ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا ، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أنا والله أعذرك منه ؛ إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك ، فقام سعد بن عبادة – وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلا صالحًا ولكن احتملته الحمية – فقال : كذبت لعمر الله ، والله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله ، والله لنقتلنَّه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، قال : فثار الحيان : الأوس والخزرج حتى مضوا ورسول الله صلى الله عليه و سلم قائم على المنبر ، قال: فنزل فخفَّضهم حتى سكتوا وسكت ،

(١) نقهتُ : شفيتُ. لسان العرب ، لابن منظور (٥٤٩/١٣).

قالت : وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويومًا حتى أظنُّ أنَّ البكاء فالقٌ كبدي ، قالت : فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي ، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل ما قيل قبلها ، وقد مكث شهرًا لا يوحى إليه في شأني ، قالت : فتشهد ، ثم قال : أما بعد ، يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه ، فلمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلتُ لأبي : أجب عني رسول الله فيما قال ، قالت : فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ، فقلتُ لأمي : أجيبي عني رسول الله فيما قال ، قالت : والله ما أقول لرسول الله ، قالت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن ، فقلتُ : إني والله لقد علمت أنكم سمعتم بما تُحدِّث به ، وقد قرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به ، ولئن قلتُ لكم : إني لبريئة – والله يعلم إني لبريئة – لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر– الله يعلم أني منه بريئة – لتصدقني ، والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف إذ قال: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [سورة يوسف آية (١٨)] قالت : ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيٌ يتلى ، وأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ، ولكن كنت أرجو أن يرى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم رؤيا تبرئني ، قالت : فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه يتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شاتٍ ، قالت :فلمَّا سُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة ، احمدي الله ؛ فقد برأك ، قالت لي أمي : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : والله أقوم إليه ولا أحمد إلا الله وأنزل الله(إن الذين جاءوا بالإفك عبة منكم)[سورة النور آية (١١)].

المطلب الخامس : البكاء لفقد مصلحة المسلمين :

قد يبكي الإنسان لفقد مصلحته الشخصية وهذا كثير ؛ فالإنسان أناني بطبعه وجبلَّته ، لكنَّ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم بكوا لفقد مصالح الأمة الإسلامية بجمعها ؛ فهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يبكي بسبب عدم تمكُّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة وصية تمنع المسلمين الضلال أبدًا حتى يُخضب الحصباء كما في الحديث ؛ فقد روى البخاري في صحيحه(١) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضَّب دمعه الحصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال : (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا) فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيٍ تنازعٌ ، فقالوا : هَجَرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !! قال : (دعوني فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه)...

ولفظ مسلم(٢) : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ....

وكذلك أم أيمن رضي الله عنها تبكي بكاءً شديدًا لانقطاع الوحي بوفاة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فالصحابة رضي الله عنهم لا يبكون لفقد مصالحهم الشخصية هنا ، بل يبكون لفقد مصالح المسلمين كما في الحديث ؛ فقد روى مسلم في صحيحه(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزورها ، قال : فلمَّا انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يُبكيكِ ؛ فما عند الله خيرٌ لرسوله ؟ قالت : إني لأعلم أنَّ ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أنَّ الوحي قد انقطع من السماء ، قال : فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها.

(١) صحيح البخاري برقم [٢٨٨٨].
(٢) صحيح مسلم برقم [١٦٣٧].
(٣) صحيح مسلم برقم [٢٤٥٤].

وبكت فاطمة الزهراء رضي الله عنها ؛ لما أخبرها والدها بقرب أجله ؛ فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشي كأن مِشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مرحبًا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثًا فبكت ، فقلت لها : لم تبكين ؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزنٍ ، فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألتها فقالت : أسر إليَّ أنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي ، وأنكِ أول أهل بيتي لحاقًا بي ، فبكيت فقال: (أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة أو نساء المؤمنين) فضحكت لذلك.

وفي رواية عند البخاري في صحيحه[٢] أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها فسارها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، قالت : فسألتها عن ذلك فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت.

كما بكى الصديق رضي الله عنه عند ما فهم قرب موعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (إنَّ الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله) فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ...

(١) صحيح البخاري برقم [٣٤٢٦] وصحيح مسلم برقم [٢٤٥٠].

(٢) صحيح البخاري برقم [٣٤٢٧].

(٣) صحيح البخاري برقم [٤٥٤] وصحيح مسلم برقم [٢٣٨٢] واللفظ للبخاري.

المطلب السادس : التسلية بالمصير الطيب عن البكاء على الميت :

لقد استشهد جماعة مع الصحابة في حروبهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن كان أهلهم يتسَلَّون عن فقدهم بأنهم شهداء عند الله تبارك وتعالى ، وأم حارثة بن سراقة تستوثق من مصير ابنها لتتسلى بمصيره إلى الجنة التي أعدها الله لعباده الصالحين أم غير ذلك فتبكيه كما في الحديث.

فقد روى البخاري في صحيحه[١] من حديث أنس رضي الله عنه قال : إنَّ أم حارثة رضي الله عنها[٢] أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد هلك حارثة[٣] يوم بدر ؛ أصابه سهمٌ غَرَبٌ[٤] فقالت : يا رسول الله ، قد علمتَ موقع حارثة من قلبي ؛ فإن كان في الجنة فلم أبكِ عليه ، وإلا فسوف ترى ما أصنع ، فقال لها : هَبَلْتِ ، أوجنةٌ واحدةٌ هي ؟! إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى.

المطلب السابع : البكاء لفقد المصلحة الخاصة :

كل إنسان يتأثر بفقد مصالحه الشخصية ، لكن الناس يتفاوتون في تعبيرهم عن فقدهم لتلك المصالح ؛ فبعضهم يسبقه البكاء فلا يستطيع رده ، وبعضهم يتمالك نفسه فلا يبكي أصلًا ، وقد بكت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما خرجت قاصدة للحج ، فحاضت قبل أن تقضي مناسكها.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما[٥] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا لا نرى إلا الحج ، فلمَّا كنا بسرف حِضتُ ، فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أبكي قال : (ما لَكِ ؟ نَفُستِ ؟) قلتُ : نعم ، قال : (إنَّ هذا أمر كتبه الله على بنات آدم؛ فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت).

---

(١) صحيح البخاري برقم [٦١٩٩].

(٢) أم حارثة بن سراقة هي عمة أنس بن مالك رضي الله عنه ، واسمها أم الربيع بنت البراء.

(٣) حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي قتله حبان بن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض ، وهو أول قتيل ببدر من الأنصار. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر (١٤١).

(٤) السهم الغرب – بفتح الراء – : السهم الذي لا يعرف راميه ، فإذا عرف راميه فليس بغرب. غريب الحديث ، لابن سلام (٣٤٤/٤).

(٥) صحيح البخاري برقم [٢٩٠] وصحيح مسلم برقم [١٢١١].

المبحث الثاني

البكاء خشوعًا لله تبارك وتعالى ، ومحاسبةً للنفس

واستشعار ثقل الحساب يوم القيامة والخوف من النار

إنَّ البكاء خشوع لله تبارك وتعالى لا يكون إلا من المسلم الصادق المحاسب لنفسه ؛ فإنه يبكي لخوفه من النار ؛ مستشعرًا قلة عمله الصالح ، وقد ذكر القرآن الكريم في وصف نبي الله إبراهيم عليه السلام قوله : (إن ابراهيم لأواه حليم) [سورة التوبة : ١١٤] وقد جاء تفسير (الأوَّاه) في صحيح البخاري[١] قوله : (الأوَّاه : المتضرع كثير الدعاء والبكاء). وقد أخرج أحمد ابن حنبل في كتاب الزهد[٢] أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال : مَن هذا ؟ قال : فلان ، قال جبريل : إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء ؛ فإنَّ الله يطفئ بالدمعة نهورًا من نيران جهنم.

ويتكون هذا المبحث من ستة مطالب :

المطلب الأول :

بكاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ، وبكاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يبكي في الصلاة خشوعًا لله تبارك وتعالى ، وبكى صحابته الكرام رضوان الله تعالى عنهم ؛ فقد روى الترمذي في الشمائل[٣] من حديث عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. بل طال قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكاؤه ليلة بدرٍ ؛ يُناشد الحقَّ تبارك وتعالى؛ فقد روى الأصبهاني[٤] من حديث رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرةٍ يُصلي ويبكي ، حتى أصبح.

(١) صحيح البخاري (١٢٢١/٣).

(٢) كتاب الزهد ، لأحمد بن حنبل برقم [١٤٢].

(٣) الشمائل المحمدية ، للترمذي برقم [٣٢٣].

(٤) أخلاق النبي وآدابه ، للأصبهاني برقم [٥٣٦].

كما كان الصديق رضي الله عنه لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فيسبقه البكاء كما جاء ذلك في أكثر من حديث ؛ فمنها :

١- روى البخاري في صحيحه[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفي النهار بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين.

٢- روى البخاري في صحيحه[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه : (مروا أبا بكر يصلي بالناس) قالت عائشة: قلت: إنَّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس ، فقالت عائشة: فقلت لحفصة : قولي له : إنَّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل للناس ، ففعلتْ حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مه ، إنكن لأنتنَّ صواحب يوسف..

٣- روى مسلم في صحيحه[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيتي قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، إنَّ أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه ، فلو أمرت غير أبي بكر ، قالت : والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول مَن يقوم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثا ، فقال : ليصل بالناس أبو بكر ؛ فإنكن صواحب يوسف.

(١) صحيح البخاري برقم [٤٦٤].

(٢) صحيح البخاري برقم [٦٤٧] والحديث له ألفاظ كثيرة.

(٣) صحيح مسلم برقم [٤١٧].

كما بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصلاة ؛ فقد روى البخاري في صحيحه[١] أنَّ عبدالله بن شداد رضي الله عنه قال : سمعت نشيج[٢] عمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [سورة يوسف: ٨٦].

وبكى أنس بن مالك رضي الله عنه لتضييع الصلاة في وقته ؛ مصداقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه أحمد ابن حنبل[٣] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لينقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة ؛ فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ؛ أولهنَّ نقضًا الحكم وأخرهنَّ الصلاة) ؛ فقد روى البخاري في صحيحه[٤] أنَّ الزهري قال : دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه بدمشق وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا مما أدركتُ إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاةُ قد ضُيِّعت.

المطلب الثاني : البكاء عند تلاوة وسماع القرآن :

لقد أفرد البخاري في صحيحه بابًا مستقلًا بعنوان (باب البكاء عند قراءة القرآن)[٥] ، وعَنْوَنَ النووي لأحاديث صحيح مسلم بعنوان (باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر)[٦] ولقد بكى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عند سماعه للقرآن الكريم ؛ فقد روى البخاري في صحيحه[٧] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (اقرأ عليَّ) قلتُ : آقرأ وعليك أنزل؟! قال : (فإني أحبُ أنْ أسمعه من غيري) . فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [النساء:٤١] قال:(أمسك) فإذا عيناه تذرفان.

(١) صحيح البخاري (٢٥٢/١).
(٢) نشج الباكي : إذا غص بالبكاء في حلقه أو تردد في صدره ولم ينتحب ؛ أي : لم يخرج صوتًا ، وقيل: النشيج: أشد البكاء.
(٣) مسند أحمد برقم [٢٢٢١٤] وهو حديث جيد قاله شعيب الأرنؤوط.
(٤) صحيح البخاري برقم [٤٣٠٦].
(٥) صحيح البخاري (١٩٢٧/٤).
(٦) صحيح مسلم (٥٥٠/١).
(٧) صحيح البخاري برقم [٥٠٧].

ولقد اقتدى الصحابة الكرام رضي الله عنهم بنبيهم ؛ فعن عبدالله بن عروة بن الزبير قال : قلت لجدتي أسماء : كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن ؟ قالت: "تدمع أعينهم ، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله"[١] قال : قلت : فإنَّ ناسًا هاهنا إذا سمع أحدهم القرآن خرَّ مغشيًا عليه ، قالت: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".[٢]

المطلب الثالث : البكاء عند سماع الموعظة :

كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يعظ الصحابة رضي الله عنهم حتى يبكون من خشية الله تبارك وتعالى وخوفه ، ولقد عقد البخاري عنوانًا خاصًا لباب من أبوابه فقال : (باب البكاء من خشية الله)[٣] وقد أكثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من وعظ الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا يبكون من خشية الله تبارك وتعالى كما في الأحاديث الآتية :

١- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلمَّا سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورًا عظامًا ثم قال:(من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا).قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول : سلوني ....

٢- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٥] من حديث أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط قال : (لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلًا ، ولبكيتم كثيرًا) قال : فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجوههم لهم خنين[٦]...

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الزمر آية (٢٣) : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)

(٢) شعب الإيمان برقم [١٩٠٠].

(٣) صحيح البخاري (٢٣٧٧/٥).

(٤) صحيح البخاري برقم [٦٨٦٤] ومسلم برقم [٢٣٥٩].

(٥) صحيح البخاري برقم [٤٣٤٥] وصحيح مسلم برقم [٢٣٥٩].

(٦) الخنين : من بكاء النساء دون الانتحاب ، وقيل : هو تردد البكاء حتى يصير في الصوت غنة ، وقيل : هو هو رفع الصوت بالبكاء ، وقيل : هو صوت يخرج من الأنف ؛ خن يخن خنينًا ؛ وهو بكاء المرأة تخن في بكائها. لسان العرب ، لابن منظور (١٤٢/١٣).

المطلب الرابع : البكاء خشية من الله :

المسلم دومًا يُحاسب نفسه ، ويندم على ذنبه ، ويَخشى عقاب ربه تبارك وتعالى ؛ لذلك ذكر الإمام أحمد ابن حنبل في الزهد[١] أنَّ الله عز وجل لما عاتب نوحًا عليه السلام في ابنه فأنزل عليه : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) [سورة هود: ٤٦] فبكى ثلاث مِئَة عام حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البكاء ، كما نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أن تسرع في حكمه على حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فحكم عليه بأنه قد نافق وطلب أن يضرب عنقه حتى رده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن فعله وذكره بأنه من أهل بدر ، دمعت عيناه خوفًا من الذنب وخشية من العقاب ؛ فقد روى البخاري في صحيحه[٢] من حديث علي رضي الله عنه قال : بعثني الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس قال : (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ؛ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين) فأدركناها تسير على بعيرٍ لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا : الكتاب ، فقالت : ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا ، فقلنا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لتخرجنَّ الكتاب أو لنجردنَّك ، فلمَّا رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته ، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر : يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما حملك على ما صنعت ؟) قال حاطب : والله ، ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ؛ أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ ؛ يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (صدق ولا تقولوا له إلا خيرًا) فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه. فقال : (أليس من أهل بدر؟) فقال : (لعل الله اطلع إلى أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم.

(١) الزهد ، لأحمد ابن حنبل (٥٠) برقم [٢٧٥].

(٢) صحيح البخاري برقم [٣٧٦٢].

كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه ، ومنهم (ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه).

وبكى عمر بن الخطاب خشية الذنب كما روى البخاري ومسلم ذلك في صحيحيهما[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : (بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبرًا) . فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله؟!.

كما بكى عمرو بن العاص رضي الله عنه خوفًا من الله ؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه[٣] أنَّ ابن شماسة المهري قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلًا وحوَّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول : يا أبتاه ، أما بشَّرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكذا؟ أما بشَّرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ؛ إني قد كنت على أطباق ثلاث ؛ لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني ولا أحب إليَّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي ، أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي ، قال : مالك يا عمرو ؟ قال : قلت : أردت أن أشترط ، قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي ، قال : أما علمت أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأنَّ الحج يهدم ما كان قبله ، وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا أجلَّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها...

(١) صحيح البخاري برقم [١٣٥٧] وصحيح مسلم برقم [١٠٣١].
(٢) صحيح البخاري برقم [٣٠٧٠] وصحيح مسلم برقم [٢٣٩٥].
(٣) صحيح مسلم برقم [١٩٢].

وبكى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خشية أن يموت بمكة ؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه[١] عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدثه عن أبيه أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على سعد يعوده بمكة فبكى ، قال : (ما يبكيك ؟) فقال : قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا) ثلاث مرار...

وبكى كعب بن مالك رضي الله عنه بسبب تخلفه عن غزوة تبوك ؛ كما روى البخاري ومسلم ذلك في صحيحيهما[٢] فقال : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أنَّ لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرٍ شديدٍ ، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازا وعدوًا كثيرًا ، فجلى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان.

قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقضِ شيئًا، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه ولم أقضِ من جهازي شيئًا ، فقلت : أتجهز

(١) صحيح مسلم برقم [١٦٢٨].

(٢) صحيح البخاري برقم [٤١٥٦] وصحيح مسلم برقم [٢٧٦٩].

بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقضِ شيئًا، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقضِ شيئًا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممتُ أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه النفاق ، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : (ما فعل كعب؟) فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه. فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا . فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدًا ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أظل قادمًا زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلمَّا فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله ، فجئته فلمَّا سلمتُ عليه تبسَّمَ تَبسُّم المغضب ثم قال : (تعال) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) فقلت: بلى إني والله – يا رسول الله – لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيتُ جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك.

فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذِّب نفسي ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : مَن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا ، فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَن تخلَّف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرتْ في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ؛ فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة – وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ – فسلمت عليه ، فوالله ما رد عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار...

المطلب الخامس : البكاء خشية عدم الشكر للنعم :

إنَّ المسلم لا يغيب عنه شكر نعم الله عليه تعالى عليه(وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) [سورة إبراهيم :٣٤] وخير من شكر الله حق شكره الصحابة الكرام ؛ فلقد بكى أبي ابن كعب رضي الله عنه لما خصه الله تبارك وتعالى بأن يقرأ رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم عليه القرآن الكريم ؛ خشية أن لا يؤدي شكر تلك النعمة عليه ؛ فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي : (إنَّ الله يأمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) [سورة البينة :١] قال : وسمَّاني؟! قال : (نعم) . فبكى.

المطلب السادس : بكاء الحنين والشوق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) صحيح البخاري برقم [٣٥٩٨] وصحيح مسلم برقم [٧٩٩].

إنَّ البعد المكاني والزماني عن رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم موجب للحسرة والتألم عند المؤمنين الصادقين ؛ فالمؤمن حقًا يتمنى لو كان ممن شرفه الله برؤية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذ لم يتحقق له ذلك فإنه يتمنى لو كان يسكن قريبًا من المدينة التي فيها رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فيرى ما ذكر في كتب السنة مِن آثاره وأخباره ، ولقد بكى الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم ؛ لبعدهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مهام أرسلهم هو لها ؛ فقد روى الطبراني في معجمه الكبير(١) أنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه لمَّا بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن ، خرج معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي تحت راحلته ، فلمَّا فرغ قال : يا معاذ ؛ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أنْ تمر بمسجدي وقبري ، فبكى معاذ بن جبل رضي الله عنه جشعًا ؛ لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تبكِ يا معاذ ؛ فإنَّ البكاء من الشيطان.

ولقد حنَّ إلى نبينا حتى الجمادات ؛ فقد روى البخاري في صحيحه(٢) من حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب إلى جذعٍ، فلمَّا اتخذ المنبر تحول إليه ، فحنَّ الجذع ، فأتاه يمسح يده عليه.

وحتى الحيوانات كانت تبكي وتشتكي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما حلَّ بها؛ فقد أخرج الحاكم في مستدركه(٣) من حديث مرة بن يعلى رضي الله عنه في حديث طويل وفيه قال : (ثم أتاه – أي : الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – بعيرٌ فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلمَّا كبر و ذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غدًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تنحروه و اجعلوه في الإبل يكون معها).

المطلب السابع : البكاء خوفًا من الحساب :

(١) معجم الكبير ، للطبراني برقم [٢٤٢].

(٢) صحيح البخاري برقم [٣٣٩٠].

(٣) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم برقم [٤٢٣٢].

من دواعي العمل الصالح ودوافعه محاسبة النفس ولومها على التقصير في القربات ، وتخويفها بالحساب يوم القيامة ، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما[١] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : اشتكى سعد بن عبادة رضي الله عنه شكوى له ، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلمَّا دخل عليه فوجده في غاشية أهله[٢] فقال : (قد قضى؟) قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمَّا رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكوا فقال : (ألا تسمعون ؛ إنَّ الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم ، وإنَّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه).

وروى البخاري في صحيحه[٣] أنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتيَ بطعام وكان صائمًا فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ؛ كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه. وأراه قال : وقتل حمزة وهو خير مني ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا ، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

المطلب الثامن : البكاء عند زيارة القبور :

لا شك أنَّ القبر أول منازل الآخرة ، فينبغي للمسلم أن يتعظ عند زيارته للقبور أو المرور بها ؛ أسوة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى مَنْ حوله ، فقال : استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ؛ فإنها تذكر الموت.

خاتمة البحث والنتائج والتوصيات :

(١) صحيح البخاري برقم [١٢٤٢] وصحيح مسلم برقم [٩٢٤].

(٢) غاشية أهله : أي : أهله الذين يغشونه ؛ لخدمته.

(٣) صحيح البخاري برقم [١٢١٦].

(٤) صحيح مسلم برقم [٩٧٦].

لا يسعني في خاتمة هذا البحث المتواضع إلا أن أحمد الله على توفيقه ، وأسأله أن يكرمني بقلبٍ خاشعٍ ، وعلم نافعٍ ، وعينٍ تدمع من خشية الله ، ويمكن أن نلخص نتائج البحث بالآتي :

- البكاء يكون في حالتي الحزن والفرحة.
- الخشوع لله تبارك وتعالى مع الإخلاص ، يؤدي إلى البكاء مخلصًا لله تعالى.
- ليس من العيب البكاء عند فقد العزيز والقريب والمصلحة ؛ فإنَّ ذلك جبلة في طبع الإنسان.
- من يديم التدبر لكتاب الله يخشع قلبه ، فتبكي عينه لله وحده مما يساعده على تزكية نفسه.
- البكاء عند النعمة والفرحة ، مظهرًا من مظاهر الشكر لله تعالى.
- بكى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في حالات كثيرة ، وكذلك الصحابة رضوان الله تعالى عنهم فلا يجوز ازدراء من تدمع عينه عند المصائب ، أو خوفًا من الله.
- بكى الصحابة حنينًا وشوقًا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛كما حن شوقًا له الجذع.
- من الأمور التي تساعد الإنسان على البكاء الذي يسهم في صفاء القلب والتذكير بالآخرة:

١- تدبر القرآن الكريم.

٢- محاسبة النفس.

٣- الإنصات إلى الموعظة.

٤- الخشوع في الصلاة.

٥- استشعار الذنب والخوف منه.

٦- زيارة القبور.

أما التوصيات فيمكن تلخيصها بالآتي :

- ضرورة التدبر عند تلاوة القرآن الكريم.
- أهمية الاستماع إلى الموعظة ؛ حتى تتأثر قلوبنا ، فتتغير حياتنا.

- ضرورة الخشوع في أثناء الصلاة حتى تؤثر صلاتنا في حياتنا.
- لا يجوز الإنكار على من يبكي لفقد قريبه أو عزيز عليه.
- يجب على المسلم أن يتعظ عند رؤية الموتى ويستشعر موته وحسابه.
- البكاء خوفًا من الله أمر شرعي فعلى المسلم أن يطالب نفسه به.
- على المسلم أن يزور القبور ؛ ليتذكر الموت والآخرة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث ومصادره

١- أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه / الأصبهاني ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر المشهور بأبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق : عصام الدين سيد الصبابطي ، ط٢ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي النمري ، تعليق: عادل مرشد ، ط١ ، الأردن (عمَّان) ، دار الأعلام ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٣- التعريفات / الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ.

٤- التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، تحقيق : الدكتور محمد رضوان الداية ، ط١ ، بيروت – دمشق ، دار الفكر المعاصر – دار الفكر ، ١٤١٠هـ.

٥- الزهد / الشيباني ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل البغدادي (د . ط) بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ت).

٦- شعب الإيمان/ البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول. ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ.

٧- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية / الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : سيد عباس الجليمي ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٢هـ.

٨- صحيح البخاري / البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي ، تحقيق : الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، بيروت ، دار ابن كثير – اليمامة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٩- صحيح مسلم / القشيري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د .ط) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (د .ت).

١٠- غريب الحديث ، ابن سلام / تحقيق : الدكتور محمد عبدالمعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية ، ط١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.

١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي ، (د .ط) ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ.

١٢- لسان العرب / ابن منظور ، محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، (د . ت).

١٣- المستدرك على الصحيحين / الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

١٤- مسند الإمام أحمد ابن حنبل / الشيباني ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل البغدادي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، (د .ط) ، القاهرة ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، (د . ت).

١٥- المعجم الكبير / الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.